هوامش

تقع ولاية يالوفا شمال غرب تركيا في الجانب الآسيوي، وتمتد داخل بحر مرمرة على هيئة لسان يحيط به الماء من ثلاث جهات، وهي معروفة بغاباتها الشاسعة. بهذا، تمثل المدينة فرصة مثالية لقضاء إجازة الصيف

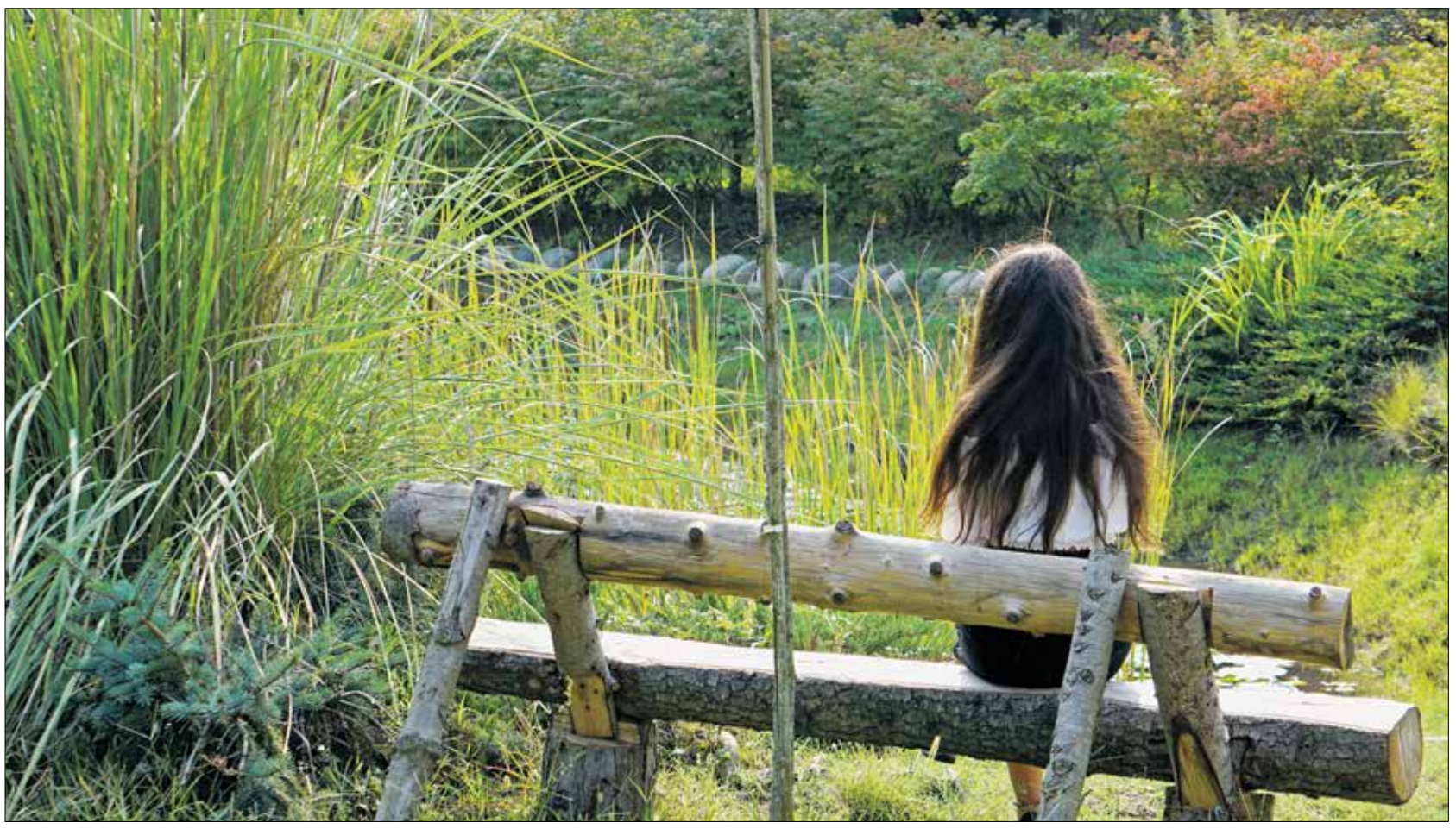

الحياة الطبيعية المتنوعة في يالوفا مستغلة أفضل استغلال (Getty)

مدينة يالوفا

الغابات وتاريخها بمحاذاة البحر

ياسر غريب

بعد شتاء طويل محمَّل بالثلوج الكثيفة، تفتح مدينة يالوفا التركية أحضانها لاستقبال أفواج كبيرة من زائريها، خاصة من السائحين العرب، محبّي منتجعاتها القريبة من إسطنبول. في المقابل، تسعى يالوفا لتعويض المواسم السابقة التي تأثرت بانتشار فيروس كورونا، لمقاومة الأزمة الاقتصادية الحالية، بعد أن حلّ الربيع، وازداد شكل المدينة الخضراء جمالاً وحيوية. تقع ولاية يالوفا في شمال غرب تركيا بالجانب الآسيوي، وتمتد داخل بحر مرمرة على هيئة لسان يحيط به الماء من ثلاث جهات، وتبلغ مساحتها 839 كلم مربع، بينما يصل تعداد سكانها إلى قرابة 204 آلاف نسمة. وتمتد سواحلها بطول 123 كم، وهو ما يجعلها قبلة محببة للسياحة الشاطئية. يعود أقدم ظهور للمدينة إلى سنة 2000 قبل الميلاد، حين احتلها الحيثيون، ثم توالت عليها سيطرة الدول التي بسطت سلطانها على الأناضول، مروراً بالرومان والبيزنطيين، وصولاً إلى العثمانيين الذين دخلوها سنة 1303م.

الينابيع الساخنة

طوال تاريخها المعروف، كانت يالوفا قبلة للباحثين عن الاستشفاء حين تفجّرت ينابيعها المعدنية الساخنة؛ فانتقل إليها كل من أراد أن يتخلص من أمراض الروماتيزم والأمراض الجلدية وأمراض العظام والأمراض التنفسية. ويقال إن تلك الينابيع الساخنة قد نشأت نتيجة زلزال كبير وقع منذ 4000 سنة في عهد الحكم الروماني. توجد هذه الينابيع في منطقة تيرمال في قلب الغابات، على بعد 12 كم من مركز المدينة، وهي ترتفع عن سطح البحر بـ 10 أمتار. وتمتاز المياه فيها بالصفاء، وتراوح درجة حرارتها بين 55 . 65 درجة مئوية. تتدفق المياه من بين الصخور بمقدار 12 لتر/ثانية، وهي غنية بكثير من المعادن، مثل: كلوريد الصوديوم وكبريتات الكالسيوم وفلوريد الكالسيوم، ويرى الخبراء الصحيون أن نسب المعادن المتوافرة فيها، تجعلها مناسبة للشرب والاستحمام أيضاً. في الوقت الحالي، تدير وزارة الصحة التركية ينابيع تيرمال مباشرةً، وبفضل العناية الكبيرة، فقد أصبحت منطقة الينابيع الوحيدة الحاصلة على الميدالية الذهبية في الجودة في تركيا. توجد ثلاثة حمامات تاريخية مشهورة تتوسط الغابة الجميلة في تيرمال، هي «حمام قورشونلو» الذي يمتاز بالقباب المغطاة بالرصاص، وهو مختلط للنساء والرجال مع الجاكوزي والساونا، وفيه مسبح مكشوف في الهواء الطلق. كذلك توجد فيه غرف عائلية خاصة. أما «حمام والدة السلطان»، فيتكون من قسم عام مخصص للنساء، وقسم آخر عام للرجال، وفيه مسبح مغطى وغرفة ساونا وبخار. بينما يضمّ «حمام السلطان» غرفاً عائلية خاصة تحتوي على مغطس صغير.

طبيعة خلابة

الحياة الطبيعية المتنوعة في يالوفا مستغلة أفضل استغلال، وتُعَدّ «غابة تشويقية» أفضل مثال على ذلك، وهي غابة تقع على بعد 29 كلم من مركز المدينة، مجهزة لاستقبال من أراد التخييم وهواة التصوير وعشاق الرياضات المختلفة، كذلك يوجد فيها طريق ترابي لرياضة المشي بطول 2 كلم، ومناطق مخصصة لألعاب الأطفال والرياضة والتنزه. أنشئت الغابة سنة 2005 على مساحة 95 هكتاراً، ومن أبرز الأشجار التي تغطيها: الزيزفون والكستناء والبلوط والزان والصنوبر والتين. أما هضبة «إريكلي» الواقعة في منطقة تشارنجيك، والتي يبلغ ارتفاعها حوالى 600 متر عن سطح البحر تقريباً، فهي أيضاً ذات كثافة نباتية مرتفعة، وتتميز في وسطها ببحيرة «ديبسيز» التي تُعَدّ من أروع البحيرات الطبيعية. وهناك شلال «صودوشان» الرائع الذي يتدفق من أعلى قمة جبلية تقع على طريق يبعد 8 كم عن قرية «أوفاز بنالر».

متحف مفتوح

المباني الأثرية الممتدة عبر عصور التاريخ في يالوفا، تجعل منها متحفاً تاريخياً مفتوحاً، منها: جامع رستم باشا، وقد شيده الوزير الأعظم لسليمان القانوني، وقلعة تشوبان (قلعة الراعي) التي يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر، وجسر تاشكوبرو الذي يعود إلى العصر العثماني، والكنيسة السوداء التي بُنيت في العصر الروماني في أول الأمر لتكون مستودعاً للمياه، ثم حولها البيزنطيون لاحقاً إلى كنيسة.

وتضم المدينة العديد من المتاحف، مثل «المتحف المفتوح» الذي يحتوي على آثار جمعت من المناطق المجاورة ليالوفا. ومتحف «إبراهيم موتيفيريك كايت» الذي يروي تاريخ الورق والطباعة، وفيه عدد من المخطوطات القديمة النادرة. ومتحف «قصر كمال أتاتورك» الذي بُني عام 1929، و«متحف كينت» للفن المعاصر الذي افتُتح عام 2013، ويضم لوحات وقطعاً أثرية نادرة.

باختصار

يعود أقدم ظهور للمدينة إلى سنة 2000 قبل الميلاد حين احتلها الحيثيون، ثم توالت عليها سيطرة الدول التي بسطت سلطانها على الأناضول

■■■

كانت يالوفا قبلة للباحثين عن الاستشفاء حين تفجّرت ينابيعها المعدنية الساخنة، فانتقل إليها كل من أراد أن يتخلص من الأمراض الجلدية

■■■

المباني الأثرية الممتدة عبر عصور التاريخ في يالوفا تجعل منها متحفاً تاريخياً مفتوحاً، منها جامع رستم باشا، وقد شيده الوزير الأعظم لسليمان القانوني

وأخيراً

في تكريم خبز محمد النعّاس

معن البياري

للكاتب الليبي، خرّيج الهندسة الميكانيكية، محمد النعّاس (31 عاما)، مجموعة قصص قصيرة عنوانها «دم أزرق»، صدرت قبل عامين. لم يُكترَث بها احتفاءً أو انتقاداً، غير أن روايته «خبز على طاولة الخال ميلاد»، الصادرة قبل عام عن داري نشر في السعودية وتونس، منذ عبرت إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية (بوكر)، في يناير/ كانون الثاني الماضي، من بين 122 رواية متنافسة، ثم وصولها إلى القائمة القصيرة في مارس/ آذار الماضي، والأخبار تتوالى عن طبعاتٍ جديدةٍ لها تصدُر في الجزائر ومصر والإمارات، وبحثُ القرّاء والمهتمين عنها ينشط، حتى إذا أحرزت، مساء الأحد الماضي، الجائزة الأولى في حفل في أبوظبي (غاب عنه النعّاس نفسُه لوصوله متأخّرا)، صار التنقيب عن الرواية ملحّا، وصعبا إذ لم يفلح قراصنةٌ في أن يوفّروها في شبكة الإنترنت. وبعد أن أمضى الليبيون ذلك النهار في تجاذبات حادّة في «السوشيال ميديا» بشأن استقطابات في بلدهم، انتهى آلافٌ منهم، في المساء، إلى التعبير عن ابتهاجٍ عظيم بفوز شابٍّ ليبيٍّ بجائزةٍ شهيرةٍ مقدّرة، وكأن ليبيا فازت بكأس العالم، في تشبيهٍ من الكاتب الليبي جمعة بوكليب (عضو لجنة تحكيم «بوكر» في دورتها أخيرا)، وقد كتب أن كل الفرحين بالمناسبة النادرة (إلا نسبة ضيئلة جدا منهم) لم يكونوا قد سمعوا قبلا بالنعّاس، وبعضهم لم يقرأوا في حياتهم أي رواية. وإلى هذا، أعلنت وزارة الثقافة والتنمية المعرفية (هذا اسمُها) الليبية «أصدق التهاني» له.

تُهدي جائزة بوكر العربية، إذن، لقرّاء الرواية والذوّاقة والمهتمين اسما جديدا، من تاجوراء في ليبيا، ربما لا يجوز وصفُه واعدا، فروايته الأولى المكرّمة مكتملة القوام، وليس فيها العيوب الباهظة، المعهودة غالبا في البواكير، إلا إذا ذهب القولُ إلى أن حكي الخبّاز ميلاد عن نفسه، كما ضمّه محمد النعّاس في ستة فصول، يعدُ باقتراحاتٍ في طرائق الكتابة ومباني السرد وتناوب الحكي، قد يأتيها الروائي الشاب في نصوصٍ لاحقة، بعد أن جاءت «خبز على طاولة الخال ميلاد» تقليديةً، على نحوٍ ما، في مجراها، إذ تُرك لبطلها أن يحكي عن طفولته وشبابه، وعن زواجه من زينب، وعن والده المتوفّى وأخواته الأربع، وعن علاقته بالخبز ومتعته في عمله خبّازا، وعن التحاقه بالعسكرية ومحاولته الهروب والانتحار، وعن تفاصيل كثيرة أخرى. تُرك له أيضا، وهو العليم الوسيط، أن يحكي وينقل عن الآخرين في محكيّاته التي تتابعت، أمام شخصٍ قادمٍ عنده لتهيئة فيلم عنه. يُخبره بكل شيء، بخصوصياتٍ شخصيةٍ جدا وحميميةٍ، ببذاءاتٍ تخصّه وتخصّ أصحابا له. يجلسان في بيته. يقطع سرودَه بأن يأخذ رأيه في أن «يبخّر» البيت، فقد تذكّر للتوّ أنه لم يفعل هذا اليوم (أي يوم؟)، وضيفه المستمع هذا جاء في موعد التبخير، ما سيكون فرصةً ليُريه بقيّة البيت. وإذا ما قيل إن في الرواية مواضعَ أسهب فيها الراوي في استرسالٍ لم يبدُ ضروريا أو كاشفا، فهذا صحيحٌ، غير أن ميلاد لا يحبّ «النوافذ المغلقة»، على ما يُخبر جليسَه (ويخبرنا؟)، ويقول له «لا أعرف من أين أبدأ، ولكن عندما أبدأ الحديث لا يمكن إسكاتي». ورواية محمد النعّاس رواية كشف وانكشاف، فضفضةٌ وكلامٌ بعده كلام، والراوي يعيش في مجتمع قروي مغلق. ولذلك، ربما، يصير شيءٌ من التسامح مع هذا العيب المفترض مباحا.

> رواية كشف وانكشاف، فضفضةٌ وكلامٌ بعده كلام، والراوي يعيش في مجتمع قروي مغلق

تنتهي مرويات ميلاد، في قفلة هذا العمل، بأن يدعو المنصت إليه إلى أن يتذوّقا «خبزَنا»، ما يُضمر أن ما قرأه القارئ في أزيد من 300 صفحة كان عجينا لخبزٍ انتهى إعدادُه «الآن». ولعل أرفع ما في صنيع محمد النعّاس ما أفاض فيه الراوي عن الخبز وأنواعه وإعداده عجينا وتقطيعا وتجهيزا، بل ومذاقا في ما بعد. يقول «يمتصّ الخبز مشاعري ويجسّدها أمامي». وهذا مركزيٌّ في الرواية، إن عجين الحياة التي خاضها ميلاد، عندما كان يبحث عن رجولةٍ فيه، تبدو مستهدفة، يوازي إتقان عجين الخبز الذي تعلّم صنعتَه ثم شغُف بها، «أشعر بسعادة غامرة عندما ألمس العجين وقد تغيّر ملمسه كليا». أما عن زوجته زينب فحضورها مركزي، غير أن فائضا من الجاذبية، والذكاء البليغ، أنك، في خواتيم الرواية، لا تعرف مصيرَها، وإنْ يخبر ميلاد محدّثه بأنها نائمة. لا تقع على حقيقة إن كانت خانت زوجها مع مديرها في العمل أم لا. وبديعٌ من محمد النعّاس قوله، في محاورة معه، أنه لا يعرف، إلى اليوم (!)، إنْ كانت قد فعلت هذا أم لا، ويضيف «لا يجدُر بي حقيقة أن أعرف».. رواية جديرة بالقراءة حقا.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**